النمرة الخامسة

رحلة ابي نظارة زرقا الولي من مصر القاهرة الى باريز الفاخرة بقلم جمس سانوا مدرس لغات شرقية وغربية



قولوا على ابو نظاره صبح مسافر يا اخواني * في مصرنا كان نواره يعيش ويرجع بالتاني



قولوا على شيخ الحاره صبح مشغرق يا اخواني * راح في داهيه ابو نظاره ماعنه يرجع بالتاني

محاورة بين السنيور فلسبيني محضر التريبونال والخواجه يوسف رمله وسيدي لقو التاجر الشامي الشهير في بيانسة محمد علي بالاسكندرية في يوم الاثنين اول شهر يوليو ١٨٧٨ سنه

لقو – ياصباح الخير ياجماعه اشحال كيفك الشريف ياخواجا *

يوسف بخير ان شا الله انا بحضي دايما مسرور بمشاهدة روية الجناب انت من الطف الناس ياخيو وحق منيح الله لايحرمني من انسك والله انه ابن حلال هلق ذكرتك وابن الحلال عند ذكره يبان انت كتير طيب ياابني *

يوسف – الله يحفظك ياسيدي حضرتك فين صار زمان ماشوفنش بمقابلة السيادة *

لقو – داعيك كنت في حلب الشهبا وبركت هونيكه بحي شهر زمان واشتريت بالكام مصريه اللي جمعتها بمصر بضايع شي متل فستق وزبيب ولوز وجوز وقمر الدين وكتير من هيك اصناف على الله الجبر ياخيو اهل مصر عندن متل بهل خصوص هن بقولوا اسعى ياعبدي وانا بسعى معك وان رقدت ماانفعك *

يوسف – ربنا يجبر بخاطرك انما يااسفاه ان المتجر عدم في بر مصر *

لقو – هيكه بحصل في بلاد الظلم النار هوني مابقي عندها مصاري * الظالم نهبها يفضح لا ستره الله *

يوسف – آهو جدر بلح *

لقو – (الى فلسبيني) وانت اش جابك هوني ياسنيور فلسبيني ورايك شي بتصمر وجاكوجك وينه ياخيو؟ بقي جنابك شرفت هل المدينه لاجل ما تسكر شي دكان حدا مفلس وتختم بابها بلك احمر؟ موهيكه؟ والا اش بتساوي هوني لك شي شغل غير دق البصامير؟ إه هات سمعنا *

فلسبيني – احنا جيتو هنا على شان اضربتو واحده مسمار في بيت افندي بتاع احنا *

لقو – اشو هل حكي بدعلك والكل خرا من بسمعو بيسكر بيت الجندي هدول بحضي كانوا بيقطعوا ايده *

يوسف – باخي لا الكلام ده كان ايام زمان انما دلوقت صار الامير والفقير على حد سوى امام المحاكم الجديده فقط *

لقو – منيح هادا شي عظيم كتير وهلق انا رايح بقيم دعوى على شيخ الحاره وبطلب تمن الجوز واللوز اللي بعته اياهم علم نول ولحد اليوم ماشفت فلس واحد من حقهن هادي موعمايل ناس قوادم *

فلسبيني – انتي افرنجيه او رعيات *

لقو – داعيك شامي تحت حكم مولانا السلطان *

فلسبيني – سلطان انت فيه واحد كونصول في مصر؟

لقو – الظبطيه هي القنصلاتو بتاعتنا *

فلسبيني – كلاص كلاص ماينفعتوش حاجه ابدا *

لقو – بقي هل طربونال مابيحامي الا عل فرنج بس *

يوسف – اي نعم والجندي لكونه مديون للافرنج قدروا يوضعوا ايدهم على املاكه

لقو – لكن هوه بقول هل املاك حججهن باسم مرته *

فلسبيني – هو انشرتو مراة يعني نساوين بتاع هو ودول مدامات ابوهم بتاع هما مافيش جنيهات في جيب هما على شان يشتري لبنات هما سرايه ودول سنيورات مش يشتغلتو ويكسبتو فلوس *

يوسف – مراد السنيور فلسبيني يعرف جنابك بان الشريعه ماتقبلش منه الكلام الفارغ ده لكون حريماته جوار ولاهم اب يورثو منه املاك *

لقو – ماشا الله بقا هلق جنابه اجا من مصر لهوني يدق الجندي بصمار او بصمر ياسنيور ولا ذنبالي لكن مالي اشوفكن انتو التنين مكدرين هيكه؟ وعيونكن حمر كانكن بكيانين اشو هدا؟ مات لكن شي حدا اب ام اخت؟ انا في عرض حريمكن تخبروني حتى انا اللحزين اسكب لي شي دمعتين معكن *

يوسف – صدق المتنبي فيما قال *

لقو – إه هات تانسمع اش قال عمك المتنبي *

يوسف – اني لاجبن من فراق احبتي * وتحس نفسي بالحمام فاشجع

لقو – كلام تحفه بحضي لكن من هو اللي فارقته؟

فلسبيني – مسكين ابو نظاره سافرتو *

لقو – ياحسره وفين سافر البحر الابيض؟

يوسف – لا سافر فرانسا *

لقو – انا قبل ماا روح من مصر للشام كان صاحبنا من خوفه امر بقفل المطبعه وتبطيل الجورنال اه ياما قلت لابو نظاره تعا معي للشام هونيكه بلاد حريه والعلما والشعرا فيها كتير ماسمع مني كلمه وليش مانتم هوني باسكندريه؟

بوسف - ده تعدهنا جمعه وكان مابيمشيش خطوه الا وبيتبعه بصاص فالتزم يقول بلد الله لخلق الله وسافر ولوقت في فابور فرنساويه وكتر الله خير صاحبنا المدير هنا اللي وصى عليه القبطان *

فلسيني - ياكساره يا ابونظاره هو رجاله جدعانين كبتان وكواجات ومدامات وناس من جزاير وابنات بلد لما شافوه فرحتو كتير هما سافرتو سوا سوا مع هو في بحر *

لقو - هيكه شافله حبايب بالفابور ؟

بوسف - دول اول ما قلنالهم وصابيننا عندكم محب مصر ابونظاره زرقا اخذوه بالاحضان *

لقو - واش قال لك وقت اللي ودعك *

يوسف - نشد بيتين لاحد شعراء العرب المشهورين وهما

« شوقي اليك وان نات دار بنا   شوق الحمام الى مداعب سربه »
« او شوق ظامي النفس صادي منهل   منعته اطراف القنا عن شربه »

لقو - مافي في الدنيه افصح من العرب والطف من اشعارهم *

فلسيني - ياكواجا جوزيف احملتو معروف وقلتو على شان سينيور لكو غنوه جديد عملوهي في مصر لما سافرتو ابونظاره *

لقو - إه ساوو له شي دور جديد غير الدور الاول * نضارتك صار لها رنه ومابعرف اشو كمان إه * ونحني ايديك بالحنه وهيكه كلام بقا هل دور اللي قال عنه ابو التفليس هو دور جديد ؟

بوسف - اي نعم *

لقو - إه رطب مسامعنا ياوليد *

يوسف - سافر فرنسا وانفرج   نشوف هناك ابونضاره
اللي على همومك فرج   ولاسم لاعظم نواره
انظر بنظارته الزرقا   تلقى الزمان جاير معيوب
وفي الفواد خلى حرقه   والعقل راح ويا المحبوب
وربنا شيخ الحاره   بما في نضارتك داري
وماخلق منها عباره   ولم يزل ظلمه جاري
خذوا تذاكر الشخصيه   وحصلوا اكل الفرده
وكم حوادث قل منيه   يحصلوها بالعده

لقو - هذا كلام بيكي قلب الكافر وبحزنه على اهل مصر *

فلسيني - پاردون انا فيه شوجل كتير كاوي كاوي *

لقو - روح بعصمر ولاتخاف من حدا *

بوسف - شيخ الحاره اليوم مشفرق وفرحان لسفر عدوه ولابد انه برقص وجواره بتطبل له * *

تابع رسالة الشيخ يوسف السنعاوي المهديه لابونظاره

* المقدمة *

في ذكر بعض صفاته واحواله * وشي من صفات رعيته وعماله * هو جبار يعرف الحق ولا يتقرب اليه * ويتحقق الباطل ولا يزال مكبا عليه * بلغ في قساوة القلب الغايه * فلا يرحم الصغار * وتجاوز في التجبر النهايه * فلا يوقر الكبار * قاتله الله من عبد سوء لا يمتثل ما امره به مولاه * قاتله الله من ظلوم فاسق لا يرجو الله الرحيث نهاه * اذا ذكرت المظالم اقبل عليها وافتخر افتخارا * وان سمع بالمراحم اعرض عنها واستكبر استكبارا * يطرب لصوت المظلوم كانه يشكره على المظالم * ويلقم المستغيث حجرا ويقول هذا مبغض للمكارم * اقرب المقربين لديه الاشرار من حزبه واعوانه * وابغض الناس عليه من يذكر الخير منهم على لسانه * فلا قريب عنده الا من قربه الظلم والجهل * ولا بعيد عنه الا من ابعده العدل والفضل * فسيات المسيئين لديه حسنات * وحسنات المحسنين عنده سيات * وما ذلك الا لسفاهة رايه * ونقصان عقله * وسفالة فهمه وزيادة جهله * مع ما جبلت عليه طينته من رداءة الطباع * وسماجة الاوضاع وخبث النية * وفساد الطوية * وقبح المخبر والخبر * وسوء السرائر والسير * وكفاك انه لا يعرف معروفا * ولا ينكر منكرا * ولا يوجد في وقت الصلاة الا جنبا وفي رمضان الا مفطرا * نعم يصوم ولكن عن الخيرات * ويفطر ولكن على الاسواء ويقابل الله بالسيات * ويستقبل الفجور متلطخا بنجاسة الفحشاء * فاجر يفتات بالكباير * ويتفكه بالصغاير * ويروح من مولاه شاكيا ولشيطانه شاكر * فكانه عاهد ابليس فلم يخن له عهدا * ووعده ان يجده عند كل معصيه فلم يخلف له وعدا * ان ذكر الاتقياء الاخيار * قال احضروا لي الحكيم * وان سمع بالاشقياء الاشرار * قال غنني بذكرهم يانديم * فرعون بالنسبه اليه حاكم عادل * وابوجهل ان قيس به امام فاضل * واليزيد لو ماثله لما اضطربت اقوالهم في جواز اللعنه عليه * والحجاج لو شاكله لما اختلفوا في نسبة الكفر اليه * بل اسبهت اعمالهم عمله * ولكنهم ليسوا اكفاء له * فلو عادوا لاتخذوه امامهم * وسلموه زمامهم * ولم يدعوا

بانهم شرٌّ منه قولاً وفعلاً * ولم يقل فرعون لاهل مصر انا ربكم الاعلى *
فانه هتك استاراً ما هتكوها * وانتهك حرمات ما انتهكوها * وظلم حتى
اهل القبور * وجار حتى على السمك في البحور * فلو مسخه الله ذئباً
لفتك بجميع الحيوان * او حية لما بقي على وجه الارض انسان * وحسبك
انه يحب الظالم حبه لاولاده واحبائه اللئام * ويبغض الراحم بغضه
لاضداده واعدائه الكرام * غير انه اختار المساواة في ظلمه الذي هو القتل
العام * فلم يفرق فيه بين الاغنياء والفقراء والراشدين والايتام * وها هو
قد اخرب البلاد واهلك العباد * واتخذ اهل ولايته ارقاء بلا ثمن
وعمهم بانواع المصايب والمحن * وسلك في ظلمهم طرقاً لم يسلكها قبله
سالك * واتخذ جنة مصر ناراً وهو لها مالك * واني لاعجب لاهل هذا
القطر كيف يستطيعون النظر الى هذا الجبار العنيد * وهم بشر لم يخلقوا
حجارة وبصرهم غير حديد * وكيف يطيقون هذه المظالم * التي الحقتهم
بالبهايم * كلا ان البهايم تاكل اكلها * وتحمل حملها * ثم لا تطالب
بشيء بخلاف هؤلاء المساكين فان اكثرهم يعملون ولا ياكلون سوى لقيمات
يسدون بها رمقهم مما لا يقنع باكله اخس الحيوان ولا تسأل عما يلبسونه
فانهم يلبسون ثياب السقم مخيطة بخيوط الدموع اما المساكن فاعمرها
يقال فيه هذا حجر ضب خرب . ثم بعد هذا كله الغنيمة كل الغنيمة ان
سلموا بانفسهم لا عليهم ولا لهم وهيهات ذلك انما تطلب منهم مغارم تعجز
عن حملها الجبال فان اعطوها نجوا والا تشتغل السياط على ادبارهم
حتى يستقبلوا الاخرة ثم يمهلون في السجن قليلاً ثم يعود العذاب وهكذا
حتى يذهب المظلوم من هؤلاء فيبيع حيوانه او عقاره او يزوج ابنته بثمن دابة
ويدفع المظلمة وان لم يكن هناك شيء يشتري به نفسه رجعه الموكلون
بالعذاب ولا يزالون يرفعون سوطاً ويوضعون آخر حتى يشفع له عزرائيل
عليه السلام فيطلقونه كرامة له ثم ينظرون الى الورثة فيقسمون عليهم
تركة صاحبهم ويسلمون لكل واحد نصيبه من العذاب ولا يزال الامر كذلك
حتى يستوفوا مطلوبهم وهذا الامر القبيح كان قبل مرة جهاراً بدون مبالاة من الله
ولا من الناس اما اليوم فان الوالي لا خزاه الله امر الموكلين بهذه الفظايع ان يفعلوها
سراً حياءً من دول اوروبا وخوفاً من باسهم وهم الان يجددونها على الوجه المذكور
فلعمري ان لاهل هذه البلاد يحق لهم ان يحسدوا الوحش في الفلا * والطير في جو السما
كيف لا والطير والوحش ترعى في الصحاري والقفار * وترد الحياض والانهار *

وتاوي الى الاشجار والاوكار * وتسبح الله تعالى بالعشي والابكار * بلا معارض
لها في رزقها * ولا حاجز بينها وبين حقها * بخلاف هؤلاء المساكين فانهم يشتغلون
حفاة عراة * ويشربون بدل الماء العذب من دموعهم املح مياه * وياوون الى
خرابات خالية مما تشتهيه الانفس وتتمناه * وتسبيحهم وتقديسهم اواه اواه وويلاه
وامصيبتاه * مع ان الوحش والطير اذا لم توافقها ارض ترتحل الى سواها وترتع حيث
تجد مرعاها بوفق هواها * اما اولئك المظلومون فان ولاية مصر بطولها وعرضها
مسافة اشهر عليهم حصن حصين * وسجن متين * يشكون فيه فلا يسمع احد شكواهم
وينادون فلا احد يجيب نداهم * ولا يمكنهم ان يفروا الى حيث يطيب هواهم ويطيب ثواهم
وبالجملة فهم يتصارخون بهذا السجن من الم العذاب * فلا يجدون ناصراً يرحم صراخهم
فيرد لهم الجواب * والوالي اخزاه الله يتنعم في جنانه وقصوره * ويتمتع بولدانه
وحوره * قد طمست بصيرته بغشاء الضلال والعمى * فلم يخش جبار الارض
والسما * له عينان احداهما تنظر الى الرعية * والاخرى تراقب الموكلين بسلب الراحة
العمومية * فمتى راى عند احد من هؤلاء الفقراء ثوباً يستر به عورته * او درهماً
يقضي به حاجته ويسد خلته * او بهيمة يستعين بها على انجاز المكوس والمظالم
او مزرعة يخدمها للوفاء بتلك الجرايم * يقول ان هذا في صفو عيش وراحة وهنا *
ولو اخذت منه حقوقنا ما وصل الى هذه الدرجة من الغنا * فيغضب على الاعوان
ويذيقهم كاس الذل والهوان * ويناديهم من اين لهذا المنحوس هذه الثروة والمال *
ومن هو حتى يكون هكذا احسن الحال منعم البال * ارجعوا اليه فمزقوا جلده باسواط
العذاب تمزيقاً * وخذوا منه المظالم والغرايم وسموها بزعمه حقوقاً * فيرجعون
الى ذلك المسكين ويفعلون به ما امرهم * حتى اذا علم بفعلهم رضي عنهم
وشكرهم * ولا يزال هكذا متصفاً بهذه الصفات المذمومة * متطبعاً
بهذه الطبايع المشؤمة * الى ان يلقى الله وهو عليه غضبان * ويسكنه
* في جوار اخويه فرعون وهامان *

*

حرر في باريز في اليوم الثامن من شهر ايلول (...)
سنة ١٨٧٨